النقد الادبي في العصر الاموي

يبدأ العصر الاموي بقيام الدولة الاموية سنة أربعين للهجرة وينتهي سنة مئة واثنين وثلاثين للهجرة ومما يلاحظ على النقد الادبي في هذا العصر انه قد نما وتطور وازدهر ، اذ ان العرب قد استقروا في المدن والامصار وتأثروا بالحضارات المختلفة مما انعكس ذلك على تطور الشعر والذائقة الشعرية لديهم وقد اتضح هذا التطور في بيئات معينه في **الحجاز والعراق والشام** وكان لكل ادب ونقد في هذه البيئات لونها الخاص وهو بذلك يكون متأثرا بالحالة الاجتماعية والسياسية والبيئة الطبيعية .

وبدأ هذا التطور وخاصه في أواخر القرن الأول الهجري بشكل ملحوظ وكان يعود الى **أسباب عدة** ، أهمها ازدهار الشعر الإسلامي لاسيما ان الشعراء كانوا من بلدان مختلفة إضافة الى تعدد بيئاته من مثل البادية والحواضر الاسلامية الأخرى وظهور العديد من الرواة واللغويين والنحويين الذين تتبعوا كلام العرب وضبطوه وجمعوه ، كل هذه العوامل أدت الى تكوين روح جديدة للنقد وعلى تحليل الشعر ومعانيه ورجاله تحليلا فيه شيء من العمق في النظرة والتمعن مع اختلاف في الذوق والحكم ، ويميز الدارسون ثلاث بيئات أدبية هي : **بيئة الحجاز ، وبيئة الشام ، وبيئة العراق** ، وقد ازدهر في كل بيئة من هذه البيئات غرض او اكثر من أغراض الشعر العربي ، ففي الحجاز ازدهر شعر الغزل بنوعيه العذري والحسي ، يمثل النوع الأول الشعراء العذريون ، ويمثل النوع الثاني عمر بن ابي ربيعة ، وازدهر تبعا لذلك نقد هذا النوع من الشعر ووضعت له أسس ومعايير، وازدهر في الشام شعر المدح بحكم وجود الخلافة فيها ، وكان وحده كافيا لان يستقطب البلاط الاموي الشعراء ، وكان الشعر يُنشد في مجالس الخلفاء والامراء ، ويستمع اليه وتُنتقد معانيه ، وازدهر في العراق شعر الفخر وهو شكل من اشكال المدح ، وشعر الهجاء ودار النقد حول هذين الغرضين ، وفيما يأتي توضيح لحال النقد في هذه البيئات :

أولا :**بيئة الحجاز :**

وكانت بيئة الحجاز اسبق هذه البيئات الى التطور سواء بالشعر ام النثر نتيجة لتطورها الاجتماعي والاقتصادي فقد تحدث الشعراء عن الحب واحداثه وكان ذلك بالغزل الصريح الذي يختلف عما عرفته الباديه البعيدة عن الحضارة ومظاهرها فأخذ الناس يوازنون بين الجديد والقديم فيلتقي الشعراء في مجالسهم ويتحدث بعضهم الى بعض ويتبادلون الاحكام النقدية في الاشعار .

امتازت هذه البيئة بفن **الغزل بنوعيه الحسي والعذري** وكان السبب وراء ذلك هو ترف المجتمع الحجازي وكثرة مجالس الطرب والغناء وكان (عمر بن ابي ربيعة) من ابرز شعراء الغزل الحسي ، اما (كثير عزة وجميل بثينة) فكانا من ابرز شعراء الغزل العذري ، اما نقاد هذا العصر فهم من الشعراء انفسهم او نقاد الشعر في ذلك العصر من أمثال (**ابن ابي عتيق**) وكان هناك الكثير من الآراء النقدية التي تروى عن (ابن ابي عتيق) والذي كان يفضل الوضوح في الشعر على الغموض في العبارة وكان ذلك بسبب تأثير البيئة الحجازية والتي كانت

تمتاز بكونها واضحة ولا غموض فيها ولا التواء ومن امثلة نقد ابن ابي عتيق (احد كبار نقاد الشعر في الحجاز).
يروى انه لقب (ابن قيس الرقيات) ب (فارس العيماء) وعندما سأله (ابن قيس الرقيات) عن السبب قال له : انت سميت نفسك بذلك اذ تقول : (سواء عليها ليلها ونهارها) ولا يستوي الليل والنهار الا على عمياء فقال (ابن قيس الرقيات) انما عنيت التعب فقال له : ان بيتك يحتاج الى ترجمان.
كما وكانا بن ابي عتيق يتعقب شعراء الغزل وينقد اشعارهم ، من ذلك على سبيل المثال قوله معقباً على بيتين قالهما عمر ابن ابي ربيعة :

بينما ينعتَنني ابصرنَني دون قيد الميلِ يعدو بي الأغر
قالت الكبرى أتعرفن الفتى؟ قالت الوسطى :نعم ،هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها قد عرفناه، وهل يخفى القمر؟

انت لم تنسب بهن ، وانما نسبت بنفسك ، وقريب من هذا قول كثير عزة (وهو شاعر غزل مثله الان انه عذري) : يا اخا قريش ، والله قد قلت فأحسنت في كثير من شعرك ولكنك تخطيء الطريق، تتشبب بها ثم تدعها وتتشبب بنفسك ، اخبرني عن قولك :

قالت لها اختها تعاتبها لتفسدن الطواف في عمر
قومي تصدي له ليبصرنا ثم اغمزيهِ يا اختُ في خفرِ

اردت ان تنسب بها فنسبت بنفسك ، اهكذا يقال للمرأة ؟ انما توصف بالخفر وانها مطلوبة ممتنعة ،وواضح ان الموقف النقدي هنا يتمسك بصورة مثالية للمرأة قائمة خارج احساس الشاعر في حين ان الشاعر ملتزم بصورة واقعية في احساسه هو او في الواقع الذي عاشه فعلاً .

ثانياً : بيئة الشام: من اهم الاغراض الشعرية التي اشتهرت في هذه البيئة هو غرض (المديح) ويعود السبب في ذلك الى كون الشام هي مركز الخلافة الاسلامية مما دعى الشعراء الى حمل رحالهم الى الشام من اجل مدح الخلفاء والامراء والملوك وفي الوقت نفسه كان هؤلاء الملوك يبدون آرائهم النقدية في الاشعار التي تنشد اليهم وبذلك فهم يمثلون النقاد في تلك البيئة كما كانت مجالسهم تمثل الاندية الادبية التي ينعقد فيها الشعر وأن من اهم شعراء هذه البيئة هم (جرير والفرزدق والاخطل) ، وكان الشعراء يفدون على الخلفاء وكانت قصورهم من مراكز الادب والشعر يُقرأ فيها الشعر وينقد ويوازن بين الشعراء وتناقش المعاني والاساليب الادبية ، وكان الشاعر اذا قال قصيدة قالها في جمع كبير واذا نُقدت ، نُقدت في جمع كبير فكان القصر مركزا للأدب كما هو مركز للسياسة والادب الذي يناسب القصور، وهو ادب المديح لهذا تنوع الادب الشامي بلون المديح وتلون النقد بلون الادب .
اما ابرز موضوعات النقد فكانت :

أ- اصول مدح الخلفاء :

كان الشعراء الوافدون الى بيئة الشام يقولون الاشعار في مدح الملوك في مجالسهم واندیتهم وقد يخطئون او يصيبون مما يجلب الانتقاد لتلك الاشعار.
ويبدو ان الشعراء الذين كانوا يفدون الى الشام مثل : جرير ، والفرزدق ، وكثير عزة ، وغيرهم ، لم يكونوا يحسنون مخاطبة هذه الفئة من الناس ، فجرير مثلاً يخاطب يزيد بن عبدالملك بقوله :

هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم اليَ قطينا

فيعلق الممدوح منكراً : اما ترون جهل جرير ؟ يقول لي ابن عمي ... ويقول : لو شئت ساقكم . اما لو قال (لو شاء ساقكم) لأصاب ، ولعلي كنت افعل ....
ولجرير موقف اخر يشبه بهذا امام بشر بن مروان الذي خاطبه قائلاً :

قد كان حقك ان تقول لبارق يا آل بارق فيم سب جرير

فقال بشر :(اما وجد ابن اللخناء رسولاً غيري)، وذلك امتعاضاً منه على الطريقة التي خاطبه فيها .
مثل هذه الملاحظات النقدية كانت تحاول ان تضع اصلاً من اصول مخاطبة علية القوم ، وهي نظرة تجعل الناس طبقات ومنازل ، ولكل اسلوب للمخاطبة ومعان تحسن فيها ولا تحسن في غيرها ، وقد فصل القول في هذا ايضاً قدامة بن جعفر في كتابه (**مقاييس نقد الشعر**) الذي عقد فيه فصلاً بعنوان (نعت المديح) وجعله اساساً وقاعدة لقصيدة المديح ، فقد حدد الناس اصنافاً وجعل لكل صنف معاني مخصوصة .
ب - اعتماد الاسس الدينية والاخلاقية في نقد الشعر : اذا بقي المعيار الاخلاقي الديني الذي اوجده الاسلام لتقويم الشعر اساساً في النقد .
ولذلك وجدنا ان عبدالملك لم يعجبه مدح ابن قيس الرقيات لهُ في هذا البيت :

يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

اذ يعلق بالقول : تقول لمصعب بن الزبير :

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

واما لي فتقول : على جبين كأنه الذهب ، وما ذلك إلا لأن ابن قيس الرقيات مدح مصعباً بالفضائل المعنوية بينما مدح عبدالملك بالفضائل المادية .
وهذا امر طبيعي بسبب نشر تعاليم الاسلام واخلاقياته في المجتمع العربي وانعكس ذلك على طبيعة الشعر ونقده .

ثالثاً: بيئة العراق:

اخذ النقد الادبي في هذا العصر طريقاً يلائم اتجاه الشعر الى العصبية والفخر والهجاء لان الحياة الادبية اتسمت بالنشاط الفكري والسياسي بسبب ظهور خصومات الجاهلية القديمة وقد نشطت الموازنة بين الشعراء وفخرت القبائل العربية بتراثها الشعري القديم وبشعرائها الجدد ونشبت معارك جدلية واسعة حول الشعراء في المجالس والاسواق والمتلقيات الشعرية والادبية فسوق (المربد) في البصرة هو احياء وامتداد لسوق عكاظ في الجاهلية في مجال النقد والادب ويلاحظ ان النقد في العراق كان متجهاً غالباً الى التفضيل بين الشعراء ويعد مربد البصرة من اهم مراكز الحوار والجدال ففيه كان يلتقي الشعراء كل

يـوم ويتحـاورون ويتخاصـمون فكـان لكـل مـن (جريـر والفـرزدق) حلقـة وكـان النـاس يرتادونهـا ليسـتمعوا الـى منـاظرات الشـعر والتـي تسـمى (النقـائض) ولـم يقـف الامـر عنـد المجـالس والاسـواق بـل تعـداه الـى مجـالس الخلفـاء والامـراء الـذين كانـت تعمـر مجالسـهم بالأدبـاء والشـعراء يشـجعونهم علـى القـول ويستعرضـون مـا ارادوا مـن فنـون الشـعر ويفاضـلون بـين الشـعراء ويـأمرون للمجيـدين بـالجوائز وبـذلك فـأن النقـد قـد دخـل طـور جديـد متـأثراً بـدور مجـالس الامـراء والملـوك إذ كانـت تلـك المجـالس ذات اثر كبير ففي تطور حياة النقد الادبي .

وقـد تميـزت البيئـة العراقيـة بمجموعـة مـن الاغـراض الشـعرية وكـان ابرزهـا (الفخر)امـا ابـرز الموضـوعات التـي كـان يـدور حولهـا النقـد الادبـي فكانـت (الموازنـة بـين الشـعراء) وكـان(جرير والفـرزدق والاخطـل) مـن اكثـر الشـعراء الـذين دارت حـولهم الموازنـات مـن ناحيـة جـودة اشـعارهم او انتقادهـا وابـداء الآراء حولهـا ،ومـن الامثلـة علـى ذلـك ان (ابـن سـلام) سـأل(بشـار بـن بـرد) عـن (جريـر والفـرزدق) فقـال كـان (جريـر)يحسـن ضـروباً مـن الشـعر لا يحسـنها (الفـرزدق) وفضـل جريـرا عليـه ، وهـذه المسـألة مـن الشـواهد علـى ظـاهرة الموازنـات التـي كانت تدور في ذلك العصر.

- **نقد اللغويين والنحاة في القرن الثاني الهجري :**

كـان للباعـث اللغـوي تـأثيره البـالغ والمباشـر علـى النقـد فـي القـرن الثـاني الهجـري ،اذ ركـز النقـاد فيـه علـى صـلاح الشـعر للاحتجـاج اللغـوي والـذي ازدهـر فـي هـذا القـرن نتيجـة للحـن واسـبابه ، فقـد كـان النقـد عنـد كثيـر مـن النحـويين واللغـويين والـرواة كـان نقـداً قائمـاً علـى الـروح العمليـة النزيهـة التـي اسـتطاعت ان تبتعـد عـن العصـبيات القبليـة واعتمـاد الاسـلوب الفنـي فـي النقـد ، وقـد عمـل هـؤلاء النحـويين واللغـويين علـى جمـع اللغـة والادب ودراسـة البيئـات العربيـة مـن أجـل معرفـة خلوهـا مـن الـدخيل واللحـن وهـم بـذلك قـدموا للنقـد خدمـة جليلـة وكـانوا مـن اهـم بواعـث النقـد فـي ذلـك القـرن ، وهكـذا نجـد ان النقـد فـي القـرن الثـاني الهجـري كـان زاخـراً بالنقـاد مـن اللغـويين وكـان اشـهرهم (عبيـدالله بـن اسـحاق ت١١٧ هـ)(وابو عمـرو بـن العـلاء ت١٥٤هـ)و(الخليل بن احمد الفراهيدي ت١٦٧هـ) و(الاصمعي ت٢١٥هـ).

وتمثل النقد الادبي في هذا القرن بجوانب عدة منها :

١- تحقيق اللغة:

اذ ان النحـاة كـانوا يتتبعـون كـلام العـرب ليسـتنبطوا منـه قواعـد النحـو او وجـوه الاشـتقاق والاعـاريض التـي جـاء الشـعر عليهـا ، وهـذا الاسـتنباط كـان يجـرهم الـى نقـد الشـعر لا مـن حيـث عذوبتـه او رقتـه او جمالـه الفنـي بـل مـن حيـث مخالفتـه للأصـول التـي هـداهم اسـتقراؤهم اليهـا مـن اعـراب او وزن او قافيـة ، فـأظهروا بعـض مـا وقـع فيـه الشـعراء الجـاهليون والاسـلاميون مـن الخطـأ فـي الصـياغة ، مـن ذلك ان النابغة الذبياني رفع (ناقع) في قوله :

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في انيابها السم ناقع

وكان حقه النصب على الحال.